

مقومات الشخصية المسلمة

بقلم: عبد الله بن محسن بن عبد الله الحضرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. وبعد:

فهذه خطة بحث بعنوان "مقومات الشخصية المسلمة" كما أتقدم بها إلى قسم الدراسات الإسلامية لإقرارها.

أهداف البحث:

كان الهدف من هذا البحث:

- 1- معرفة كيد الأعداء في إفساد الشخصية الإسلامية وتخريب مقوماتها والسعي في إبطاله.
- 2- إبراز معالم الشخصية المسلمة وبيان مكانتها الرائدة.
- 3- أخذ العبرة والعظة مما كانت عليه الشخصية المسلمة الأولى في القرون المفضلة وما آلت إليه اليوم.
- 4- استخراج الحلول والأدوية النافعة من وحي الله تعالى لإرجاع الشخصية المسلمة إلى مجدها المنشود.

أهمية الموضوع:

تتضح أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

- 1- وجود خلل في إدراك المقومات الشرعية للشخصية المسلمة.
- 2- التحذير من التبعية المطلقة للشخصيات المعادية للإسلام.
- 3- وجود خلط في جهة التلقي في توصيف مقومات الشخصية المسلمة.
- 4- الرغبة الجادة في إصلاح الشخصية المسلمة.
- 5- إذا تبين ذلك علم أثر ذلك في حل مشكلة واقع المسلمين اليوم وأن المستقبل لهذا الدين الإسلامي وللشخصية الملتزمة به.

أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فهي:

- 1- إحياء جوانب التجديد في مفهوم الشخصية الإسلامية.
- 2- كثرة الفتن المعيقة للالتزام بالشخصية المسلمة.
- 3- الاستفادة من التاريخ والتجارب الدعوية في تنمية الشخصية المسلمة.
- 4- بدء الإصلاح وإصلاح الخلل يبدأ من الشخصية المسلمة.

الدراسات السابقة:

تبين من خلال البحث والإطلاع أن هناك دراسات وكتابات سابقة في هذا الموضوع وهي على النحو التالي:

- 1- اقتضاء الصراط المستقيم للإمام ابن تيمية.

٢ - تركية النفوس (رسالة مستقلة للإمام ابن تيمية).

٣ - مدارج السالكين للإمام ابن القيم.

٤ - مقدمة ابن خلدون.

٥ - إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

وأما الكتابات الحديثة في هذا الموضوع فهي على النحو التالي:

١ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي.

٢ - واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب (دار الشروق).

٣ - منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمد قطب (دار الشروق).

٤ - معالم الشخصية الإسلامية د. عمر الأشقر (الفلاح ٤ سنة ١٤٠٤هـ).

٥ - في بناء الشخصية المسلمة لزيد الزيد.

٦ - شخصية المسلم بين الفردية والجماعية للسيد محمد نوح.

٧ - شخصية المسلم للمؤلف أحمد هاشم (دار المكتبة التجارية).

٨ - الشخصية الإسلامية للمؤلفة بنت الشاطئ (دار العلمين للملايين ط ٣ لسنة ١٤٠٠هـ).

منهجي في البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث من حيث المنهج والأسلوب على ما يلي:

١ - الرجوع إلى الدراسات السابقة والحديثة في هذا الموضوع.

٢ - التوثيق والإحالة على المراجع والمصادر.

٣ - عزو الآيات وتخريج الأحاديث من مصادرها.

٤ - الترجمة الموجزة للأعلام.

تقسيمات البحث:

ثم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وثمانية فصول وتسعة مباحث وخاتمة تحتوي على النتائج والتوصيات والفهارس.

أولاً: المصطلحات الواردة في البحث:

أ- مفهوم الشخصية المسلمة.

ب- مقومات الشخصية المسلمة.

ج- المبادرات الذاتية.

د- مقاصد الإسلام.

ثانياً: الأبواب والفصول والمباحث:

الباب الأول: بيان معرفة أصل الشخصية المسلمة (أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام) ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تبصير المسلم بنفسه وشخصيته ومكانته في الإسلام.

الفصل الثاني: التذكير والتحذير لما قد يطرأ على الشخصية من أمراض وانحرافات.

الفصل الثالث: بيان مقصد الإسلام من الشخصية الإسلامية.

الباب الثاني: أهم مقومات الشخصية المسلمة: ويشمل على فصلين:

الفصل الأول: المبادرات الذاتية: وتحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: ترسيخ العقيدة في القلب: يتم ذلك من خلال الآتي:

١- تحرر صاحب الشخصية الإسلامية من الخوف على الحياة.

٢- تحرر صاحب الشخصية الإسلامية من الخوف على الرزق في جميع الظروف.

المبحث الثاني: اكتساب المناعة الذاتية.

الفصل الثاني: المبادرات الجماعية: وتحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترسيخ مفهوم العمل الصالح في الشخصية المسلمة.

المبحث الثاني: التكامل والشمول والاعتدال.

المبحث الثالث: تربية روح النظام في الشخصية المسلمة.

المبحث الرابع: الابتلاء والامتحان في صقل الشخصية المسلمة.

الباب الثالث: نظرة تحليلية على الواقع المعاصر: ويشمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الدلائل والبراهين المثبتة لانحراف في الشخصية المسلمة.

الفصل الثاني: معالم الانحرافات في هوية وشخصية الأمة المسلمة المعاصرة.

الفصل الثالث: طريق العلاج لإصلاح الشخصية المسلمة المعاصرة: ويشمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان بعض أقوال أهل العلم في الإصلاح الشرعي.

المبحث الثاني: التربية الإيمانية الربانية.

المبحث الثالث: طبيعة التغيير الإسلامي.

ثالثاً: خاتمة البحث:

تشمل على الآتي:

- ١ - النتائج والتوصيات.
- ٢ - فهارس الآيات.
- ٣ - فهارس الأحاديث وتخريجها.
- ٤ - فهارس المصادر والمراجع.
- ٥ - فهارس الموضوعات والمحتوى.

أولاً: المصطلحات الواردة في البحث:

أ- مفهوم الشخصية المسلمة:

قال صاحب [المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٧٥ مادة "شخب"]:

"شخص الشيء عينه وميزه مما سواه، وعند الفلاسفة: الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها ومنه "الشخص الأخلاقي، وهو من توافرت فيه صفات تؤهله للمشاركة العقلية والأخلاقية في مجتمع إنساني. (الشخصية) صفات تميز الشخص من غيره، ويقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل" أ.هـ بتصرف.

واصطلاحاً: "إقامة البناء السليم للنفس، وتحديد خط السير الصحيح الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان في الحياة الدنيا لتستقيم حياته في الدنيا ويظفر في ذات الوقت برضوان الله ونعيمه المقيم في الجنة وفي الآخرة فتصلح دنياه وآخرته [منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ١٣٤/٢ دار الشروق]. ونعني بها أيضاً باختصار: "الرجل العامل المنتج" [التربية الجادة/ محمد عبد الله الدويش] قلت: من خلال ما سبق نخلص إلى الآتي:

أن الشخصية المسلمة المنشودة هي: الشخصية المؤهلة والقادرة على الجمع بين شتى العلوم والفنون والدرية والحكمة فيها.

ونعني بها أيضاً: الهوية الإسلامية "الإسلام كإتداء" هو القاسم المشترك الوحيد لأمة متكاملة كبرى ولا شيء غيره.. وإذا ما نحينا الإسلام جانباً، فمن المستحيل أن نجد قاسماً مشتركاً آخر نتفق عليه وتلتقي عنده الأمة الإسلامية فلا الأرض ولا اللغة ولا التاريخ يمكن أن تكون القاسم المشترك لأمتنا وذلك لأن الأرض واللغة والتاريخ تعتبر امتداداً للإسلام" [فقه الدعوة، ملامح وأفاق/ عمر عبيد حسنة ص ٧٢].

ونعني بها أيضاً: شخصية أهل السنة والجماعة المتمسكون بالسنة عقيدة ودعوة وأخلاقاً المحكمين للسنة في القليل والكثير والمراد بهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين ومن سار على منهجهم وشخصيتهم إلى يوم الدين.

إن الشخصية المسلمة المنشودة في كل زمان ومكان يجب أن تقوم بالآتي:

- ١ - حركة شاملة مبنية على أصول الإسلام وعقيدته وعلى قواعد قيم خلقية وعملية توافق روح الإسلام وقوام طبيعته.

٢ - يقوم بأمرها رجال يظهرون استعدادهم التام للاصبواغ بهذه الصبغة المخصوصة وسيبقون لنشر المبادئ الإسلام ويبدلون جهودهم في بث روح الإسلام في المجتمع.

٣ - ثم يقوم على هذا الأساس: نظام التعليم والثقافة.

٤ - ثم الجهاد في سبيل الله تعالى.

ب- مقومات الشخصية المسلمة:

المقومات لغة كما جاء في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي رحمه الله ص (١٥١٦): مادة قوم: "قام قوماً وقيامه وقامة: انتصب فهو قائم من قوم وقيم وقوام وقيام.. ودرأه: أزال عوجه، كقومه. وقومته: عدلته فهو قويم ومستقيم، والقوام: بالكسر نظام الأمر وعماده وملاكه كقيامه وقوميته. واصطلاحاً: نعني بالمقومات: الأمور والمواصفات المؤثرة في الشخصية المسلمة كالاتدال والاسنقامة وانتظام الأمر وعماده وملاكه دون الغوجاجه وغلوه وجفوه وسقوطه واختلاله.

ج- المبادرات الذاتية:

المبادرة لغة: مأخوذة من بدر إلى الشيء إذا أسرع وبادر إليه.

أيضاً: وتبادروا القوم: تسارعوا. [القاموس المحيط باب الرأء وفصل الباء] أ.هـ.

واصطلاحاً: أداء حقوق الله - عز وجل - والاستعانة به تعالى على ذلك، والتفاؤل بالنجاح في أهداف نفسك في كل عمل بعد التخطيط له والبحث عن الحق والالتزام به [حتى لا تكون كلاً: لمحمد القرني]. أو: اعتماد الفرد على منهج خاص به يتربى من خلاله تربية إيمانية وثقافية ودعوية [مشكلات وحلول في حقل الدعوة: لعبد الحميد البلالي].

أو: هي الجهد الذي يبذله الشاب من خلال أعماله الفردية أو من خلال تفاعله مع برامج عامة وجماعية لتربية نفسه. [التربية الذاتية: لمحمد عبد الله الدويش].

د - مقاصد الإسلام الخمسة المراد بها:

المعاني والحكم والكليات التي راعاها الشارع الحكيم في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد وهو ما يعرف بـ "المقاصد الخمسة" وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال).

الباب الأول:

الشخصية الإسلامية الأولى: (آدم وحواء عليهما السلام)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "فقد ندب سبحانه وتعالى إلى التفكير والنظر في خلق الإنسان في غير موضع من كتابه فقال تعالى: "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج"^(١).

وقال تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"^(٢).

وقال تعالى: "ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون"^(٣) وغير ذلك من الآيات... أ.هـ بتصرف.

ومن خلال ما استعرضه الإمام ابن القيم من الآيات الواردة في خلق الإنسان والتفكير فيه نستنتج من كلامه رحمه الله كما في كتابه "مفتاح دار السعادة" ص (١٨٧-٢٨٣) ما يلي:

- ١ - أن أصله الأول من طين ونسله من ماء مهين.
- ٢ - أنه خلق من قبضة قبضها الله من جميع الأرض فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والكريم والليث.
- ٣ - أنه كرم بالعقل والعلم والفهم والبيان والنطق.
- ٤ - أنه حض بحياء الخلق.
- ٥ - تميز بالبيانين النطقي والخطي.
- ٦ - قدرته على التعلم بما أعطاه الله من الوسائل المعينة لذلك.
- ٧ - تميزه بدوافع وغرائز وظيفتها تقوم على مصالحه.
- ٨ - تميزه بالقوة والشهوة والإرادة.
- ٩ - أوامر الله لا تنفك عنه إلى أن يلقاه.
- ١٠ - أنه لم يخلق عبثاً.
- ١١ - تميزه في شكله وصورته.
- ١٢ - الإنسان كل لا يتجزأ روح وعقل وجسم^(٤).

١- الحج آية ٥.

٢- المؤمنون آية ١٢-١٤.

٣- المرسلات آية ٢٠-٢٣.

٤- تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق تأليف/ قائد طيار وأنس القوز ص (١٨٧-٢٨٣).

لقد خلق الله تعالى الإنسان في هذه الحياة من أجل غاية محددة، ووظيفة معينة ومهمة مقررة وسخر له ما في الأرض جميعاً بل وألهمه الله الكشف عن بعض قوانين الطبيعة ونواميس الحياة، كما يصبح الإنسان أهلاً لهذه الغاية الهامة التي من أجلها خلقه الله تعالى.

يقول الله تعالى مخبراً الملائكة عن المهمة التي من أجلها خلق الإنسان "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة"^(١).

قال ابن جرير الطبري^(٢): "إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه" أ.هـ.

ويقول ابن كثير: "فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم، قاله القرطبي"^(٣) أ.هـ.

خلافة الإنسان في الأرض وشروطها:

ولما كانت خلافة الإنسان في الأرض مشروطة بشرطها وهو الالتزام بطاعة الرب والملك وصاحب الأمر والنهي من تحقيق أوامره طمعاً في ثوابه واجتناب نواهيه خوفاً من عقابه كل ذلك في إطار من التوفيق والمحبة والتعظيم كانت قضية خلافة الإنسان في الأرض هي نفسها قضية عبادة الإنسان لله القاهر فوق عباده يقول تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"^(٤).

يقول ابن تيمية: "يعبد في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان" أ.هـ [قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص (٤١)].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: "ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب"^(٥) أ.هـ.

ميثاق الفطرة:

ولما علم الله عز وجل عظم الأمانة وثقل التكليف الذي حمله الإنسان، ذلك المخلوق الضعيف المفتقر بذاته إلى ربه وخالقه ولما كان الله الحكيم الخبير لا يكلف نفساً إلا وسعها فقد خلق الله الإنسان مفطوراً بطبعه على معرفة ربه، وتوحيده فلا يتلقى إلا منه ولا يتوجه إلا إليه.

قال تعالى: "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون"^(٦).

١- سورة البقرة آية ٣٠.

٢- ابن جرير الطبري: الإمام المفسر الحافظ: محمد بن جرير أبو جعفر ولد عام أربع وعشرين ومائتين للهجرة وتوفي في شوال سنة عشر وثلاثمائة للهجرة من كتبه جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

٣- دار المعرفة (٦٩/١).

٤- الذاريات آية ٥٦.

٥- مختصر تفسير ابن كثير (٣٨٧/٣).

٦- الأعراف آية ١٧٢-١٧٤.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: رأيت لو كان ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي" أخرجاه في الصحيحين^(١).

حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" متفق عليه.

ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل: "خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ألا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"^(٢). "رواه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه بلفظ قريب منه".

ودلالة هذه الأدلة على اعتبار الفطرة والشهادة بها على النحو الآتي:

١- لا ريب أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقاً وتارة ما يكون باطلاً وهو حساس متحرك بالإرادات فلا بد له من أحدهما ولا بد له من مرجح لأحدهما.

٢- إذا عرض على كل أحد أن يصدق وينتفع وأن يكذب ويتضرر، مال بفطرته إلى أن يصدق وينتفع.

٣- أنه مفطور على جلب المنافع ودفع المضار بحسه وحينئذ لم تكن فطرة كل واحد مستقلة بتحصيل ذلك بل تحتاج إلى سبب معين للفطرة، كالتعليم ونحوه، فإذا وجد الشرط وانتفى المانع استجابت لما فيها من المقتضى لذلك.

٤- من المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق ومجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك وإلا فلو علم الجهال والبهائم وحضضا لم يقبلوا.^(٣)

٥- ومن الضروري أنه إذا لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج كانت الفطرة مقتضية للصالح؛ لأن المقتضى فيها للعلم والإرادة قائم والمانع منتفٍ^(٤) بتصرف^(٥).

من رحمة الله تعالى أن لا يعذب أحداً بعد قيام الحجة الرسالية:

وبالرغم من قيام الحجة وانقطاع العذر، شاء الله العليم الخبير بحكمته البالغة أن لا يؤاخذ بني آدم بمقتضى ميثاق الفطرة وحده وأن لا يعذب أحداً إلا بعد أن يقيم عليه الحجة الرسالية. قال تعالى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"^(٦).

١- معارج القبول حافظ حكيم ص (٣٤).

٢- كتاب الجنة باب ١٦ حديث ٢٨٦٥ (٤/٢١٩٧).

٣- انظر [شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن عبد العز الحنفي ص ٨٢-٨٥ المكتب الإسلامي] بتصرف واختصار، وإنما لم يقبل الجاهل العلم لضعف قوة العلم عنده أو فقدها بالكلية، وأما أمر البهائم فلفقدها للقوة العلمية أصلاً. أو يقال أنه لم يقبل الجاهل العلم لجهله المركب.

٤- انظر [شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن عبد العز الحنفي ص ٨٢-٨٥ المكتب الإسلامي] بتصرف واختصار.

٥- الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحى الدمشقي، ولد سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة وتوفي سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة من كتبه شرح شرح العقيدة الطحاوية.

٦- سورة الإسراء آية ١٥.

فبعث الله رسله تترى تذكر الناس بميثاقهم الأول مع ربهم وخالقهم وبالأمانة الكبرى التي حملهم إياها في أرضه وتأمروهم أن يلتزموا بمقتضى استخلاف الله لهم في هذه الحياة وتقطع عليهم آخر الأعذار التي يمكن أن يجادل بها بنو آدم ربهم "رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"^(١).

يقول الإمام ابن القيم^(٢): "فليس في العقول أبين ولا أجلى من معرفتها بكمال خالقها هذا العالم وتنزيهه من العيوب والنقائص، وجاءت الرسل بالندكرة بهذه المعرفة وتفصيلها وكذلك في الفطرة الإقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها وجزاؤها بكسبها في غير هذه الدار، وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا تعلم إلا بالرسول فالرسول تذكر بما في الفطرة وتفصله وتبينه ولهذا كان العقل الصريح موافقاً للنقل الصحيح والشرعة مطابقة للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان"^(٣).

قال تعالى: "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"^(٤).

يقول عن ابن عباس قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين..."

وعن قتادة قال: "كانوا على هدى جميعاً فاختلفوا فبعث الله النبيين فكان أول من بعث نوحاً. وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولاً..."^(٥).

الفصل الأول: تبصير المسلم بنفسه وشخصيته ومكانته في الإسلام:

قال الأستاذ محمد قطب حفظه الله تعالى: "لقد كان يعرف الإنسان بنفسه، بعد أن عرفه بربه وباليوم الآخر كان يعرفه بمنشئه من قبضة من طين الأرض ونفخة علوية من روح الله وبدوره في الأرض وهو الخلافة عن الله ونهاية خلقه وهي عبادة الله بمعناها الواسع الشامل الذي يعني الائتمار بأمر الله في كل شأن من شؤون الحياة والتوجه في عمله إلى الله وبمصيره بعد الموت من بعث وجزاء.

وبذلك تكتمل الصورة كلها من المنشأ إلى المصير، ويعرف الإنسان طريقه ومهمته ودوره، فلا يتخبط في اختيار الطريق، ولا يتخطأ المهمة ولا يقصر عنها ولا يركبه الغرور في أداء الدور فيصنع من نفسه إلهاً أو طاغوتاً يستعبد الناس ولا ينحسر بدوره كذلك فيقبل العبودية الذليلة للطاغوت بدلاً من العبودية الكريمة لله. وهذا كذلك درس في العقيدة ودرس التربية في ذات الوقت لأنه يحدد خط السير ويضبط مسار الخطى عليه فتمنح الإنسان الطمأنينة وتطلق طاقته للبناء في واقع الأرض بلا حيرة ولا قلق ولا اندفاع مجنون.

١- سورة النساء آية ١٦٥.

٢- الإمام ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي. كنيته: شمس الدين أبو عبد الله ابن القيم الجوزية. ولد سنة إحدى وتسعين وستمئة وتوفي في الثالث والعشرين من رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. من كتبه: "شفاء العليل" و "تهذيب سنن الترمذي". من تلاميذه: ابن رجب وابن كثير. [انظر الذيل لابن رجب].

٣- شفاء العليل لابن القيم ص ٣٠١-٣٠٢.

٤- سورة البقرة آية ٢١٣.

٥- معالم الانطلاقة الكبرى جمع وإعداد محمد عبد الهادي المصري ص (١٧-٢١) ط ٤-١٤٠٩هـ دار طيبة.

وكان القرآن يعرف الإنسان بقصته مع الشيطان وكيف استكبر وأبى أن يسجد لمعجزة الله في خلق آدم على هذه الصورة الفريدة في كل الخلق وطرده من الجنة وتوعده بغواية بني آدم ودفعهم عن طاعة الله وشكره بتزيين الأرض لهم وشغلهم بها عن الآخرة والعمل لها وتزيين الكفر والعصيان واتباع مناهج غير منهج الله. وكان القرآن يندد بأخلاق الجاهلية المنتكسة ومفاهيمها الجاهلية الهابطة ويضع في مقابلها الأخلاق الإيمانية التي ينبغي أن يكون عليها البشر السوي الذي كرمه الله وفضله وهداه النجدين وأعطاه القدرة على التمييز والاختيار قال تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"^(١) "٢". ومن جملة الآيات الواردة في القرآن الكريم في التعريف والتبصير بحقيقة الإنسان المسلم قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم أجر غير ممنون"^(٣).

وقال تعالى: "الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان"^(٤).

وقال تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً"^(٥) وقال تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون"^(٦) وغير ذلك من الآيات.

ولقد اعتنت السنة النبوية الصحيحة بالإنسان المسلم وشخصيته عناية فائقة فمن ذلك على سبيل المثال:

- ١ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"^(٧).
- ٢ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^(٨).
- ٣ - عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف في النار"^(٩).

١ - الشمس آية ٧ - ١٠.

٢ - منهج التربية الإسلامية (١/٥٤-٥٥) دار الشروق ط ٨، ١٤٠٨هـ.

تعليق: قوله "هو الخلافة عن الله" قال ابن تيمية: (...والمقصود هنا أن الله تعالى لا يخلفه غيره، فإن الخلافة إما تكون عن غائب وهو سبحانه شهيد مدير لخلق لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره ولا يروى أنه قيل لأبي الصديق يا خليفة الله تعال. فقال: بل أنا خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحسي ذلك... [مختصر منهاج السنة (١/٦٦)].

٣ - التين آية ٤ - ٦.

٤ - الرحمن آية ١ - ٤.

٥ - الإسراء آية ٩ - ١٠.

٦ - سورة البقرة آية ٢١.

٧ - رواه البخاري كتاب الإمامة (١/٤٥).

٨ - رواه البخاري في صحيحه.

٩ - البخاري باب حلاوة الإيمان.

٤ - عن أبي بكره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار فقلت: يا رسول الله: هذا القاتل فما باب المقتول؟ قال: "إنه كان حريصاً على قتل صاحبه"^(١)^(٢).

الفصل الثاني: التذكير والتحذير لما قد يطرأ على هذه الشخصية من أمراض وانحرافات [فساد الفطرة]:

لقد أجاد وأبدع الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذا الموضوع حيث قال رحمه الله تعالى:

فصل: حال الناس قبل الإسلام:

اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة من الرسل وقد مقت أهل الأرض عربهم وعجمهم إلباها من أهل الكتاب ماتوا، أو أكثرهم قبيل بعثته. والناس في الجاهلية جهلاء من مقالات يظنونها علماً وهي جهل وأعمال يحسبوننا صلاحاً وهي فساد، وغاية البارع منهم علماً وعملاً أن يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين قد اشتبه عليه حقه بباطله. فهدى الله ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاققت معرفة العارفين، حتى حصل لأمة المؤمنين عموماً ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق العظيمة والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمه سائر الأمم علماً وعملاً (الخالصة من كل شوب) إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوت تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينها فله الحمد كما يحب ربنا ويرضى.

ثم إنه سبحانه وتعالى بعثه بدين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، وفرض على الخلق أن يسألوه الهداية له كل يوم في صلاتهم ووصفها بأنها صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وجماع ذلك: أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه لا قولاً ولا عملاً، وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون.

ومع أن الله قد حذرنا سبيلهم ففضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله مما سبق في علمه حيث قال فيما أخرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لنتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى: قال: فمن"^(٣).

١ - رواه البخاري في كتاب الإمامة.

٢ - الإمام البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة. ولد سنة أربع وتسعين ومائة وتوفي سنة ستة وخمسين ومائتين. من كتبه: "الجامع الصحيح".

٣ - الحديث في البخاري بلفظ: "لنتبعن سنن من كان قبلكم شيراً بشيراً وذراعاً بذراعاً...." الاعتصام رقم ٧٣٢٠ الفتح (٣٠٠/١٣) ومسلم العلم رقم (٢٠٥٠٤/٤٠٢٦٦٩).

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً بشبر وذراعاً بذراع فليل يا رسول الله كفارس والروم قال: "ومن الناس إلا أولئك"^(١).

وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة بل قد تواتر عنه: "أنه لا تزال طائفة من أممي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة"^(٢).

وأخبر صلى الله عليه وسلم: "أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة"^(٣).

فعلم بخبره الصدق أنه في أمته قوم متمسكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً وقوم منحرفون إلى شعبة من شعب اليهود، أو إلى شعبة من شعب النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر انحرافاً، بل وقد لا يفسق أيضاً بل قد يكون الانحراف كفراً وقد يكون فسقاً وقد يكون معصية وقد يكون خطأً.

وهذا الانحراف أمر تتفاضه الطباع ويزينه الشيطان فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلاً.

وتجدر الإشارة إلى بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم التي ابتليت بها هذه الأمة ليجتنب المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم أو الضالين قال تعالى: "ود كثير من أهل الكتاب لو يروونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير"^(٤).

فدم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم.

وقد يبئني بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد، كمن هداه الله بعلم نافع أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقاً وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم وقال تعالى: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً"^(٥) فوصفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم والبخل بالمال وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود والأكيد، وكذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية مثل قوله تعالى: "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبس ما يشترون"^(٦) وقال أيضاً: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا

١- الاعتصام رقم ٧٣١٩ الفتح (٣٠٠/١٣).

٢- رواه البخاري المناقب رقم ٣٦٤٠ ومسلم الإمارة رقم ١٩٢٠.

٣- الترمذي الفتن وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني شواهد في "صحيح الجامع الصغير رقم ١٨٤٤.

٤- سورة البقرة آية ١٠٩.

٥- سورة النساء آية ٣٦-٣٧.

٦- آل عمران ١٨٧.

فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم"^(١). وقال تعالى: "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون"^(٢).
فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم تارة بخلاً وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفاً أن يحتج عليهم ما أظهره منه.

وهذا قد بينتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم فإنهم تارة يكتمون العلم بخلاً به وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضاً عنه برئاسة أو مال، فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته، أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة أو اعترى إلى طائفة قد خولفت في مسألة فيكتنم من العلم ما فيه حجة لمخالفة وإن لم يتعين أن مخالفه مبطل.

وقال تعالى عن النصارى: "يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً"^(٣) وقال أيضاً: "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم"^(٤) إلى غير ذلك من المواضع.

ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيراً منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أفبح من قول النصارى أو مثله أو دونه.

وقال تعالى: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون"^(٥).

وفسره صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم بأنهم: "أطلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم"^(٦) وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به وإن تضمن تحليل حرام حرام أو تحريم حلال.

وقال أيضاً: "ثم قفينا على آثرهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون"^(٧) وقد ابتلى طوائف من المسلمين بالرهبانية المبتدعة بما الله به عليهم.

١- البقرة ١٥٩-١٦٠.

٢- البقرة آية ٧٦.

٣- النساء ١٧١.

٤- المائدة ٧٣.

٥- التوبة ٣١.

٦- أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب كتاب التفسير إلى ٣٠٩٥.

٧- الحديد ٢٧.

وقال تعالى: "وكذلك أعرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتتاعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً"^(١) فكان الضالون بل والمغضوب عليهم بينون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن ذلك في غير موضع حتى في وقت مفارقتة الدنيا.

ثم إن هذا قد ابتلي به كثير من هذه الأمة.

ثم إن الضالين تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة، والصور الجميلة، فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات ثم تجد قد ابتليت هذه الأمة من اتخاذ السماع المطرب بسماع القصائد وإصلاح القلوب والأحوال به، ما يه مضاهات لبعض حال الضالية وقال تعالى: "ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لا تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً"^(٢) فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجد كل ما الأخرى عليه.

وأنت تجد كثيراً من المتفهمة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدهم إلا جهالاً ضلالاً، وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة ولا العلم شيئاً بل يرى المتمسك بها منقطعاً عن الله. وإنما الصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل. وأما مشابهة فارس والروم فقد دخل في هذه الأمة من الآثار الرومية قولاً وعملاً والآثار الفارسية قولاً وعملاً ما لا خفاء به على مؤمن عليم بدين الإسلام. وإنما الغرض أن نبين ضرورة العبد وفاقتة إلى هداية الصراط المستقيم وأن يفتح باب إلى معرفة الانحراف. أهـ بتصرف واختصار^(٣).

الفصل الثالث: بيان مقصد الإسلام من الشخصية الإسلامية:

ونعني بذلك: المعاني والحكم والكليات التي راعاها الشارع الحكيم في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد.

لقد حرصت الشريعة في ألفاظها ومعانيها على تحقيق الكليات والمقاصد الخمس المعروفة وهي على الآتي:

- ١ - حفظ الدين.
- ٢ - حفظ النفس.
- ٣ - حفظ العقل.
- ٤ - حفظ النسل "النسب".
- ٥ - حفظ المال.

١- الكهف ٢١.

٢- النساء ١١٣.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن تیمية ت ٧٢٨هـ تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل. دار العاصمة (١/٧٤-٩٤) باختصار وتصرف ط ٦، ١٤١٩، ١٩٩٨م.

وكل ذلك معتبر ومطلوب من الشخصية الإسلامية، وإن كان المقصد الأول هو حفظ الدين وهو تحقيق العبودية الشرعية الكاملة ومنه يتحقق الهدف المنشود من الشخصية المسلمة وهو: إعداد المسلم الصالح على إطلاقه بمعناه الإنساني الشامل بجوهره الكامل في أعماقه. وإليك شرح هذه الكليات المطلوبة تحققها في مقصد الإسلام من الشخصية المسلمة:

أولاً: حفظ الدين:

إن الدين أصل للمقاصد كلها فإذا ذهب الدين فسدت الدنيا بأسرها وذهبت المقاييس الصحيحة والموازن العادلة.

إن الإيمان بالدين يجعل الإنسان محجماً عن الاعتداء على المقاصد المذكورة حتى في السر حيث لا يراه أحد من المخلوقات.

فإذا فقد الناس الدين دخل الفساد على هذه المقاصد، فترى النفوس تغتال والأموال تختلس والأعراض تنتهك. ويتم حفظ الدين بالآتي:

١ - الدخول في الدين الإسلامي.

٢ - العمل به.

٣ - الجهاد من أجله.

٤ - الدعوة إليه.

٥ - الحكم به.

٦ - رد كل ما يخالفه.

ثانياً: مقصد حفظ النفس:

والمقصود بالأنفس هي الأنفس المعصومة بالإسلام أو الجزية أو الأمان.

الوسائل لحفظ الأنفس:

١ - تحريم الاعتداء عليها.

٢ - سد الذرائع المؤدية إلى القتل.

٣ - القصاص.

٤ - ضرورة إقامة البيئة في قتل النفس.

٥ - ضمان النفس.

٦ - تأخير تنفيذ القتل لمن وجب عليه إذا خشي من قتله على غيره.

٧ - العفو عن القصاص.

٨ - إباحة المحظورات حال الضرورة.

ثالثاً: حفظ العقل:

الوسائل لحفظ العقل هي:

١ - الاهتمام بالعقل وأهميته في القرآن والسنة.

- ٢ - أنه مناط التكليف.
- ٣ - تحريم ما يفسد العقل من المفسدات الحسية والمعنوية أما المفسدات الحسية: مثل الخمر والمخدرات وما شابهها. وأما المفسدات المعنوية: التصورات الفاسدة في الدين أو الاجتماع أو السياسة أو غيرها من أنشطة الحياة.
- ٤ - وجوب الحد على شارب الخمر عامداً عالماً بأنها محرمة وهو ثمانون جلدة أو أربعون على رأي بعض العلماء.
- رابعاً: حفظ النسب "النسل":
- المفاسد بسبب إهماله هي:
- ١ - انتهاك الأعراض.
 - ٢ - اختلاط الأنساب.
 - ٣ - قطع النسل.
 - ٤ - النقائل.
 - ٥ - انتشار الفساد الخلقي.
 - ٦ - نزول المصائب وحلول الكوارث والمحن.
- وسائل حفظه هي:

- ١ - المحافظة على النسل من جانب الوجود: بالحث على ما يحصل به استمراره وبقاؤه وتكثيره.
 - ٢ - المحافظة على النسل من جانب عدمه وذلك يمنع ما يقطعه كلية أو يقلله أو يعدمه بعد وجوده.
 - ٣ - ترك النكاح والإعراض عنه.
 - ٤ - منع الحمل ونحوه.
 - ٥ - الإجهاض ونحوه.
- خامساً: حفظ المال:

- وسائل حفظ المال هي:
- ١ - من جانب الوجود بالحث على الكسب والترغيب في المال الحلال.
 - ٢ - من جانب عدمه:
- (١) تحريم الاعتداء عليه.
 - (٢) تحريم إضاعة الأموال.
 - (٣) ما شرع من الحدود "السرقه، حد الحرابة".
 - (٤) ضمان المتلفات.
 - (٥) مشروعية الدفاع عن المال.
 - (٦) توثيق الديون والإشهاد عليها.

(٧) تعريف اللقطة وما يتبعها^(١).

إن تحقق مقاصد الشريعة الخمسة في الشخصية المسلمة تنتج لنا الوسطية الحقة في الإسلام، وبدونها يحصل الإفراط والتفريط.

قال الأستاذ محمد قطب حفظه الله: "الإنسان الذي لا شخصية له في ذاته ولا وجود، لا ينشئ إلا مجتمعاً مستضعفاً خانعاً يصلح لأن يحكمه "فرد" متسلط دكتاتور ثم يتهاوى حين يذهب ذلك الدكتاتور!.

والإنسان الذي تبرز شخصيته - بانحراف - إلى حد الأنانية المرذولة أو الطغيان، لا يستطيع أن يعيش في وفاق مع الجماعة ولا بد أن يتشتت المجتمع ويؤول إلى البوار.

لا بد من إنسان متوازن في فرديته ومتوازن في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها. وحينئذ يصبح المجتمع أشخاصاً حقيقيين لا أصفاراً ولا نكرات أشخاصاً لهم وجود واقعي متساندين في الوقت ذاته [صفاً كأنهم بنيان مرصوص] وذلك هو ما يسعى إليه الإسلام^(٢).

قال العلامة عبد الرحمن ابن خلدون^(٣) - رحمه الله -: الفصل الخامس والعشرون في معنى الخلافة والإمامة: "... فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط، فإنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء والله يقول: "أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً".

فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضي بهم إلى السعادة في آخرتهم "صراط الله الذي له ما في السموات ولا في الأرض".

فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الإنساني فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطاً بنظر الشارع.

... لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم، وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك أو غيره.

فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به^(٤).

وقال أيضاً: الفصل الثالث والأربعون في أن الظلم مؤذن بخراب العمران: "... واعلم أن هذه الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة، من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال^(٥).

١ - انظر مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية د. محمد سعد بن أحمد أيوبي، دار الهجرة ص ٢٥ بتصرف واختصار.

٢ - منهج التربية الإسلامية (١/١٦٤).

٣ - العلامة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولادته ووفاته ٧٣٢-٨٠٨ هـ. من أشهر كتبه: "كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم...".

٤ - مقدمة ابن خلدون ص (١/٢٠٠-٢٠٣).

٥ - المصدر السابق (١/٢٠٣).

الباب الثاني:

أهم مقومات الشخصية الإسلامية

وتنقسم هذه المقومات إلى فصلين:

الفصل الأول: المبادرات الذاتية وتحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: ترسيخ العقيدة في القلب: من خلال الآتي:

- ١- تحرر صاحب الشخصية الإسلامية من الخوف على الحياة.
- ٢- تحرر صاحب الشخصية الإسلامية من الخوف على الرزق في جميع الظروف.

المبحث الثاني: اكتساب المناعة الذاتية لدى المسلم:

الفصل الثاني: المبادرات الجماعية: وتحتوي على أربعة مباحث:

- ١- ترسيخ مفهوم العمل الصالح في الشخصية الإسلامية.
- ٢- التكاسل والشمول والاعتدال.
- ٣- تربية روح النظام في الشخصية الإسلامية.
- ٤- الابتلاء والامتحان في صقل الشخصية الإسلامية.

الباب الثاني: أهم مقومات الشخصية المسلمة:

الفصل الأول: المبادرات الذاتية:

إن المبادرات الذاتية لدى الفرد المسلم لا بد من تحققها في شخصيته وفي نفسه حتى تصبح عقيدة مستقرة فيه تعطي ثمارها الفكرية والخلقية والدعوية المرجوة، ومن ثم فلا بد من بيان ذلك وشرحه على النحو الآتي:

المبحث الأول: ترسيخ العقيدة في القلب:

بحيث تصبح يقيناً ينبثق عنه السلوك العملي:

المؤمن الذي يصلح لحمل أعباء الدعوة ومشتقاتها هو ذلك المؤمن الذي تغلغت واستقرت في قلبه إلى درجة اليقين حقائق العقيدة كلها بحيث لا تبقى تلك الحقائق مجرد معرفة منحصرة في الذهن فحسب، تستقر في وقت السلم والأمن ولكنها تهتز إذا تعرضت للشدة والابتلاء بل لا بد أن تتحول هذه الحقائق العميقة الجذور في القلب إلى صورة مجسمة ترى في الواقع متحركة لها تأثيرها في التعبير والبناء والهدم وبهذه الصورة فقط تحمل العقيدة في عالم الواقع تغير.. تهدم، تبني، تهدم الباطل وتبني مكانه الحق.

ومن أمثلة حقائق العقيدة التي يجب أن تكون متأصلة في نفس المؤمن الداعية:

- ١- أن تحرر صاحب الشخصية الإسلامية على الخوف من الحياة: ذلك لأنه ترسخ في قلبه إلى درجة اليقين أن الأجل بيد الله وأنه محدد لا يزيد ولا ينقص وأنه إذا جاءت نهايته لا يتأخر لحظة "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً"^(١).

١- سورة آل عمران آية ١٤٥.

"فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"^(١) "ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها..."^(٢).
وينبثق عن هذا اليقين سلوك عملي ظاهر في حياة المؤمن وهو أن يأبى أن يذل أو يهون ويثبت أمام
أعاصير الموج ثبات الشم الرواسي لا تضعف له هزيمة ولا تلين له قناة والله در القائل:
أنا يوم أن آمنت بالله أحد
لن أذل النفس يوماً لأحد
يا ترى كم جلسة - كم درساً - كم موعظة - كم توجبهاً يحتاج إليه الإنسان لتتأصل هذه الحقيقة وحدها في
نفسه وتظهر آثارها مجسمة بعد تدني سلوكه في أي ظرف من ظروف الحياة المتقلبة بين الشدة والرخاء
والخوف والأمن.

٢- تحرر صاحب الشخصية الإسلامية من الخوف على الرزق في جميع الظروف:

وذلك لأنه ترسخ في قلبه إلى درجة اليقين أن الرزق بيد الله وأنه لا يملك أحد مهما علت مرتبته وبلغت
منزلته وكبر شأنه وعظم جبروته أن ينقص من رزق مخلوق شيئاً أو يزيده فهو مؤمن بقوله تعالى: "إن الله
هو الرزاق ذو القوة المتين"^(٣) "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها"^(٤) "وفي السماء رزقكم وما
توعدون"^(٥) وغيرها.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن روح القدس نفث في روعي أن لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها
فأتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا
يطلب إلا بطاعته"^(٦).

ثم يتحول هذا اليقين إلى عمل واقعي تظهر آثاره على سلوك هذا المؤمن فهو لا يحرص عن قول كلمة الحق
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتقاعس عن مناصرة الحق وأهله حرصاً على لقمة العيش، أو خوفاً
من أن ينقص رزقه أن يهدد معاشه بل هو موقن أن الشجاعة وقول كلمة الحق ومقاومة الظلم لا تنقص من
الرزق حبة خردل وأن الجبن والتقاعس عن كلمة الحق لا يزيد في الرزق فتبلاً ولا نقيراً، متمثلاً قول القائل
وهو الإمام الشافعي:

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً
وإذا مت لست أعدم قبراً
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفراً
انتهى بتصرف..^(٧)

المبحث الثاني من الفصل الأول:

المبحث الثاني: اكتساب المناعة الذاتية لدى المسلم:

١- الأعراف ٣٤.

٢- المنافقون ١١.

٣- الذاريات ٥٨.

٤- هود ٦.

٥- الذاريات ٢٢.

٦- أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود وقد ورد في صحيح الجامع الصغير برقم ٢٠٨١.

٧- واقعنا المعاصر محمد قطب وانظر منهج التربية الإسلامية.

وذلك أنه من خلال التربية يتكون لدى المسلم مناعة ذاتية تحفظه من السقوط في الانحرافات والشهوات والوقوع في فخ الأهواء والنزوات وبذلك يكون الفرد مالكاً لمقومات الصمود والثبات على صراط الله المستقيم وتحصنه بأسوار واقية من كثير من الآفات المرضية التي يصاب بها من لم يكسب المناعات الواقية. وهذه المناعة الذاتية لدى الفرد تعود آثار منفعتها وثمارها على الحركة الإسلامية ككل فالحركة أثناء مواجهتها للظروف الصعبة تحتاج إلى مقومات ذاتية تمكنها من تجاوزها وتخطيها بسلام وأمان.

"وكل بنية حركية تدخل معترك الصراع أو تستدرج إليه قبل الآوان وقبل أن تمتلك مقومات الصمود تكون قد حكمت على نفسها بالإعدام شأنها شأن الجاهل الذي يرمي بنفسه إلى لجة البحر قبل أن يتعلم السباحة لأنه يكون قد حكم على نفسه بالغرق"^(١).

ولا شك أن هذه المقومات والمناعات الذاتية تحتاج إلى وقت طويل من السير في العملية التربوية لا يجادها في شخصية الفرد المسلم والحركة الإسلامية ككل.

الفصل الثاني: المبادرات الجماعية: وتحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترسيخ العمل الصالح في الشخصية الإسلامية:

ومما يدل على هذا المفهوم سورة العصر قال تعالى: "والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم"^(٢).

ويقول سيد قطب في تفسير هذه السورة: "التواصي بالحق ضرورة فالنهوض بالحق عسير والمعوقات عن الحق كثيرة هوى النفس ومنطق المصلحة وتصورات البيئة وطغيان الطغاة وظلم الظلمة وجور الجائرين والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى في الهدف والغاية والأخوة في العبء والأمانة فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية إذ تتفاعل معاً فتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله وهذا الدين وهو الحق لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة على هذا المثال"^(٣).

ومن أدلة تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه على العمل الجماعي والعمل الصالح قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم" رواه أحمد.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم" رواه أبو داود وقال الشوكاني^(٤) بعد أن ساق هذين الحديثين وذكر طرقهما وأنه يشهد بعضها لبعض وفيها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلايف فمع التأمير

^١ - التربية الوقائية في الإسلام لفتح يكن ص ١٦.

^٢ - انظر تفسير ابن كثير (٤٩٩/٨).

^٣ - في ظلال القرآن (٣٩٦٨/٦).

^٤ - الإمام الشوكاني: محمد بن علي ولادته ووفاته ١١٧٣هـ - ١٢٥٠هـ من شيوخه: العلامة أحمد بن عامر الحداني والعلامة إسماعيل بن الحسن المهدي. ومن تلاميذه: تلاميذه: أحمد بن عبد الله العمري الضمدي من أشهر كتبه "السييل الجرار...".

يقول الاختلاف وتجتمع الكلمة وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض ويسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى^(١).

المبحث الثاني من القسم الثاني: التكامل والشمول والاعتدال:

ونعني بالتكامل أن يتناول الإعداد جوانب الشخصية المسلمة كلها الفكرية والوجدانية والحركية لتكون شخصية إسلامية متكاملة قادرة على الصمود والتحدي والاستمرار لتحقيق الهدف من وجودها "وشتان بين مؤمن صنعه منهاج الله متكاملًا وبين مؤمن أخذ آيات معبودات ثم دفع نفسه إلى أمانة كبرى ومسؤولية عظيمة"^(٢).

وأن يتناول إعداد الأمة بحيث تتفوق على الأمم الأخرى وهذا التفوق تقتضيه مسؤوليتها في قيادة الأمم هذا التفوق يكون في كل الاختصاصات المتعلقة بجوانب الحياة وشؤونها جميعاً.

ومن أدلة القرآن الكريم في هذا الصدد قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..."^(٣) يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "فهذه الآية تصرح بوجود الاستعداد للأعداء بكل ما نستطيعه من قوة عقلية ومعنوية ومادية مما لا يمكن حصره وفي كل وقت ولكل عدو يتعين سلوك ما يلاءم ذلك الوقت ويناسبه..."^(٤).

المبحث الثالث: تربية روح النظام في الشخصية الإسلامية:

البيئة التي ينتشر فيها الإسلام - بقدر من الله - بيئة فوضوية بطبيعتها بحكم موقعها، وأهل هذه البيئة حيث يتركون لتأثير البيئة وحدها قوم يكرهون التخطيط ويرونه عبئاً ثقيلاً على أعصابهم لا ينبغي أن يحملوه وقوم عفويون يكرهون التخطيط والنظر إلى بعيد ويرونه كذلك عبئاً ثقيلاً لا موجب له وهم أخيراً قوم قصار النفس يشتملون حماسة لفترة موقوتة ثم تخبو حماستهم كأن لم تشتعل قط وتتصرف إلى موضوع جديد من هذه الطباع - المستمدة من البيئة - تسلمهم الإسلام فأنشأ منهم خلقاً آخر.. عن طريق التربية التي رباها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه جعلت منهم أمة منظمة تنظيمياً دقيقاً.

ومع النظام لم تعد العفوية هي صورة العمل في الأمة المسلمة لأنه لكل عمل ضوابطه الشرعية وللشريعة في كل عمل مقاصد ينبغي تحقيقها.

ومع النظام والانضباط والنظر في النتائج التي رباها الإسلام على النفس الطويل والرؤية البعيدة.. فهناك هدف بعيد لكل فرد. وهناك أهداف ممتدة لمجموع الأمة.

لكن الأمة في خط انحرافها الطويل ارتدت رويداً رويداً إلى تأثير البيئة.

^١ - نيل الأوطار للشوكاني (٢٨٨/٨).

^٢ - انظر الشباب والتغيير.

^٣ - الأنفال ٦٠.

^٤ - القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي ص ١٢٧-١٢٩).

وذلك أنه في غيبة العقيدة الحية المتمكنة من النفوس تصبح البيئة صاحبة التأثير أو من ثم رجعت الأمة إلى طبيعتها الفوضوية التي تكره الانضباط والعفوية التي تكره التخطيط قصيرة النفس التي تكره الرؤية البعيدة ولا تطبق المتابعة للأمد البعيد.

فإذا كان هذا حال الأمة الآن فإنه لن يصلحها إلا العقيدة ولا يقدر على إصلاح آثار هذه البيئة إلا أصحاب العقيدة الصحيحة الواعون لحقيقتها الذين تربوا تربية إسلامية كما استطاعت - أول مرة - أن تنشئ النفوس نشأة جديدة منظمة منضبطة طويلة النفس وتزيل آثار الانحراف وتعيد الأمة إلى ما كانت عليه وقت استقامتها على الدين بهدف إعادتها إلى خيريتها التي أخرجها الله من أجلها قال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله... (١)"(٢).

المبحث الرابع: الابتلاء والامتحان في صقل الشخصية الإسلامية:

الابتلاء سنة ربانية لا تتبدل ولا تتخلف في تاريخ الدعوات.

"أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذي صدقوا وليعلمن الكاذبين"(٣)

"أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين"(٤) إلى غير ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء".

يقول ابن القيم: "فإن القلوب يخالطها بغلبات الطباع وميل النفوس وحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة ما يصاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص منه فاقترضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلاء ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده وإلا خيف عليه من الفساد والهلاك..."(٥).

من فوائد الابتلاء:

- ١ - ترسيخ العقيدة استعداداً لإقامة البناء والشخصية الإسلامية.
- ٢ - ترسيخ معاني أخلاقيات لا إله إلا الله في النفوس والأخلاق.
- ٣ - الارتفاع السامي عن متاع الأرض وجواذبه والقدرة على الانفلات منها.
- ٤ - بلوغ النفس آفاق عالية لا تتفتح إلا في ظل الابتلاء.

١ - آل عمران ١١٠.

٢ - واقعنا المعاصر الاستاذ محمد قطب ص ١٩١، ٤٨٩ بتصرف واختصار.

٣ - العنكبوت ١-٣.

٤ - آل عمران ١٤٢.

٥ - زاد المعاد لابن القيم (٢٣٧/٣).

٥ - تطهير الصف من أذعياء الإيمان الذين في قلوبهم مرض من المنافقين^(١). انتهى^(٢).

^١ - منهج التربية الإسلامية (٦٣/٢) وواقعنا المعاصر محمد قطب.

^٢ - أهمية الجهاد في نشر الدعوة د. علي بن نفيح العلياني دار طيبة، ط: ١، ١٤٠٥هـ - ص ٩٤-١٠٥.

الباب الثالث:

نظرة تحليلية على الواقع المعاصر

الفصل الأول: الدلائل المثبتة لهذا الانحراف في الأمة المسلمة والشخصية المسلمة:

لقد حدث في الشخصية الإسلامية المنشودة عبر القرون المتأخرة وحتى الآن.. حدث لها من الانحرافات في شتى المقومات والتصورات والعقائد والأخلاق والتشريعات الشيء الكثير - إلا من رحم الله وقليل ما هم- رغم وجود الإصلاحات في شتى المواد من قبل العلماء والدعاة وطلبة العلم وغيرهم إلا أن الواقع يحتاج إلى مزيد من الإصلاحات الجذرية.

ومما يدل ويشهد على هذه الانحرافات في الأمة الإسلامية عموماً وفي الشخصية المسلمة خصوصاً دليل الاستقراء وذلك من خلال الآتي:

- ١- إخبار القرآن الكريم والسنة الصحيحة.
- ٢- غربة الإسلام الثانية.
- ٣- شهادة التاريخ.
- ٤- كيد الأعداء ومكرهم.
- ٥- غياب أصحاب الشخصيات المسلمة المعتدلة [فقدان العلماء الربانيين] ويتبين تفصيل هذه النقاط فيما يلي:

أولاً: إخبار القرآن الكريم والسنة الصحيحة:

ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين"^(١) وقال تعالى: "ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فآخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً"^(٢) وقال: "يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين..."^(٣) وقال تعالى: "ودوا لو تدهن فيدهنون"^(٤) وغير ذلك.

ومن دلالة السنة على سبيل المثال:

قوله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قال: قلنا يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غناء كغناء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال: قلنا وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"^(٥).

^١ - آل عمران ١٠٠.

^٢ - النساء ٨٩.

^٣ - المائدة ٥٤-٥٥.

^٤ - القلم ٤.

^٥ - مسند أحمد (٢٧٨/٥). الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله: إمام أهل السنة والجماعة. ولادته ووفاته (١٦٤-٢٤١هـ) من أشهر كتبه: "المسند".

ثانياً: غربة الإسلام الثانية:

روى مسلم^(١) في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"^(٢).

وهذه الغربة الثانية التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث تستدعي وتستلزم غياب المفاهيم والعقائد والتشريعات في كثير من الأزمنة والأمكنة التي تعيش فيها الأمة الإسلامية عموماً والشخصية المسلمة خصوصاً على وفق السنة الكونية.

ثالثاً: شهادة التاريخ:

قال ابن خلدون رحمه الله: "... ومن الغلط الخفي في التاريخ: الدهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام، وهو داء دويّ شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطولة، فلا يكاد يتقطن له إلا الآحاد من أهل الخليفة.

وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وثيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول "سنة الله التي قد خلت في عبادته"^(٣).

ثم ذكر أمثلة من أمم الفرس والنبط وبنو إسرائيل والقبط ثم جاء بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب ثم جاء الإسلام...

ثم درست دولة العرب وأيامهم. وصار الأمر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك والبربر والفرنجة.

"والسبب الشائع في تبدل الأحوال أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانها، كما يقال في الأمثال الحكيمية: [الناس على دين الملك]."

والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة، ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الدهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه، فلربما يسمع لسامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتقطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها فيجريها لأول وهلة على ما عرف وقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهواة من الغلط"^(٤) أ.هـ بتصرف.

رابعاً: كيد الأعداء ومكرهم:

لقد كاد أعداء الإسلام ضد الإسلام وأهله مستخدمين عدة طرق في ذلك من أهمها الآتي:

^١ - الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين. من شيوخه: قتيبة بن سعيد والإمام أحمد بن حنبل. ومن أشهر كتبه: صحيح مسلم وكتاب العليل. توفي سنة إحدى وستين ومائتين. وهو ابن خمس وخمسين سنة.

^٢ - مسلم في صحيحه كتاب الإيمان رقم ١٤٥. (١/١٣٠).

^٣ - جزء من آية ٨٥ سورة غافر.

^٤ - تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم "مقدمة ابن خلدون (١/٢٩-٣٥) "فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه..".

- ١ - تشويه الإسلام والطعن فيه.
- ٢ - اصطناع الشخصيات الزائفة من المنافقين وعلماء سوء.
- ٣ - تزيين الحضارة الأوربية الكافرة.
- ٤ - الغزو الفكري والثقافي.
- ٥ - الدعوة الجائرة لمحاربة الإرهاب.
- ٦ - كل ما أوتوا من علم ومال ومبادئ وجنود في الصد عن الإسلام عموماً وعن الشخصية المسلمة خصوصاً.

يقول الدكتور علي جريشة وزميله الزبيق "... وقد ظهرت أخيراً وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري وهذه الوثيقة تتضمن وصية القديس لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع لويس في أسر المصريين في مدينة المنصورة وقد بذل الملك لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات والأعراض والمسلمون قادرون دوماً للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة وأنه لا بد من سبيل آخر وهو تحويل التفكير الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري"^(١).

خامساً: غياب أصحاب الشخصيات المسلمة المعتدلة "فقدان العلماء الربانيين" وذلك من خلال الآتي:

- ١ - موتهم وذهابهم من الحياة.
- ٢ - عدم البدائل عنهم في الأمة في الغالب إلا من رحم الله.
- ٣ - انصراف كثير من المسلمين عنهم في بعض الأمكنة والأزمنة.

الفصل الثاني من الباب الثالث: مظاهر الانحرافات في هوية وشخصية الأمة المسلمة المعاصرة:

- ١ - غياب مفاهيم الإسلام والإيمان والإحسان.
- ٢ - تنحية الحكم بالإسلام عقيدة وشريعة.
- ٣ - فشو الأخلاق الرذيلة المحرمة في المجتمعات.
- ٤ - تسلط الأعداء المهين في كثير من ميادين الحياة مما لا يشهد له نظير في واقع الأمة من قبل.
- ٥ - انتشار المبادئ والأفكار والقوانين الكافرة في البلاد الإسلامية.
- ٦ - حب الدنيا وكراهية الموت.
- ٧ - الانكفاء إلى الداخل: "المشكلات الداخلية في الأمة".
- ٨ - الذلة والمهانة في غالب ميادين الأمور.

^١ - أساليب الغزو الفكري لجريشة وزميله الزبيق ص ١٩.

- ٩- الاستعمار الحقيقي لكثير من البلدان الإسلامية.
 - ١٠- وجود الردة عن الدين الإسلامي العظيم.
 - ١١- التبعية المطلقة لأعداء الإسلام.
 - ١٢- إحياء التراث والعادات الجاهلية المعادية للإسلام.
- معالم مظاهر الانحراف في الصحوة الإسلامية والعمل الدعوي المعاصر:
- ١- الضعف البين في معرفة عقائد منهج أهل السنة والجماعة وسلوكهم وسياساتهم.
 - ٢- الضعف البين في مفهوم العلم الشرعي.
 - ٣- ضعف التربية الإسلامية في النفوس والأخلاق.
 - ٤- كثرة الأهواء والشهوات المحرمة.
 - ٥- عدم التوازن والتكامل في الشخصية الإسلامية.
 - ٦- فقدان المرجعيات الربانية المعتدلة.
 - ٧- وجود المندسين من المنافقين في الحركات والجماعات الإسلامية.
 - ٨- الضعف الواضح في مفهوم الدعوة: مناهجها، برامجها، وسائلها.
 - ٩- فقدان الشخصية المجددة لهذا الدين الإسلامي.
 - ١٠- قلة القدوات الحقة الممثلة للشخصية المسلمة.
 - ١١- الفتن والمغريات الساقطة لكثير من جوانب الشخصية المسلمة.
 - ١٢- مظاهر الفرقة والاختلاف المذمومين المسببين للفشل والانفصاض عن الشخصية المسلمة.

الفصل الثالث من الباب الثالث: طريق العلاج لإصلاح الشخصية المسلمة المعاصرة:

إن من سنن الله عز وجل الخالدة: أن البشر يتحملون مسؤولياتهم في الرقي والانحطاط في اتباع الخير أو الشر. وهذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان بعض أقوال أهل العلم في الإصلاح الشرعي: قال بن خلدون: "اعلم أن العلوم الشرعية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها ذلك بالتصور للحقائق أولاً ثم بإثبات العوارض الذاتية لها أو نفيها عنها ثانياً"^(١) أ.هـ.

وقال أيضاً: "وذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك وإنما تميز عنا بالفكر الذي يستهدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المسيء لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح أخراه"^(٢) أ.هـ.

قال سيد قطب رحمه الله: "إن القرآن يعرض أنماطاً من نماذج النفوس البشرية في أصلاتها الفطرية وفي حالاتها المنحرفة كذلك في هداها وفي ضلالها في رشدها وفي غيها في استقامتها وفي إعراضها في قوتها وفي ضعفها في سرها وفي علانيتها في فرديتها وفي جماعتها..."

^١ - مقدمة ابن خلدون ص ٦١٤-٦١٥ الفصل السادس والثلاثون في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها.

^٢ - نفس المصدر ص ٤٦٠ الباب السادس من الكتاب الأول، الفصل الأول بأن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري.

يعرض من ذلك كله في حيز من التعبير يستحيل - لو لم يكن عند الله - أن يسع هذا الحشد الكبير من الأنماط والنماذج والأحوال والأطوار وأن يصوره في دقة وعمق لا يبلغهما الأسلوب البشري ولا في أضعاف هذا الحيز من التعبير.

ثم ذكر رحمه الله إن الإنسان مخلوص خاص ذو كيان متميز تميزه عناصر تكوينه قال: "وهو كائن كريم عن الله ذو مركز عظيم في تصميم الوجود، على الرغم من كل ما في طبيعته من استعداد للضعف والخطأ والقصور والتردي ولكن استعداده للمعرفة الصاعدة لحمل أمانة الاهتداء وللتبعية يجعله كائناً فريداً.. كما يستحق تلك العناية الإلهية به بإرسال رسله ورسالاته وهو أكرم من كل ما هو مادي لأن كل ما هو مادي مخلوق له.

وهو مستعد - حسب تكوينه الذاتي - لأن يرتفع إلى أرقى من آفاق الملائكة المقربين كما هو مستعد لأن ينحط إلى أدنى من دركات الحيوان البهيم.

وذلك حسب ما يبذل هو من جهد في تزكية نفسه أو ترسيتهما وحسبما يتلقى من عون من الله وهداية ورعاية" أ.هـ بتصرف^(١).

قال محمد قطب: "إن الانحرافات البشرية كلها في أي زمان وأي مكان وأي عمر وأي ظروف، لا تستعصي على العلاج حيث يوجد المنهج الحق مهما احتاجت من جهد، إنما تستفحل وتستعصي حيث لا يكون هناك تربية.. أو حيث تكون التربية والتوجيه فاسدين." ^(٢) أ.هـ.

وقال أيضاً: "أما انحرافات المسلمين التاريخية التي بلغت ذروتها في المجتمعات الجاهلية القائمة اليوم في أرض الإسلام فقد قامت في التاريخ الإسلامي حركات متكررة لمحاولة تصحيحها وردها إلى أصولها المتضمنة في الكتاب والسنة على يد الدعاة والمجاهدين الذين لم ينقطع منهم تاريخ الإسلام. وها هي ذي حركات البعث الإسلامي القائمة اليوم، رغم كل الحرب المحسوبة عليها من كل أرجاء الأرض تحاول أن تقوم انحراف المسلمين وتردهم إلى تلك الأصول.

إن السمات العامة لهذه الفترة هي الرغبة في حمل المسؤولية والرغبة في العمل واكتساب الخبرة العملية ثم النظرة الواقعية إلى الأمور"^(٣).

ولقد ذكر الإمام بن القيم رحمه الله خمسين وجهاً لعلاج مرض الهوى تصلح بتوفيق الله تعالى أن تكون علاجاً لجميع انحرافات الأمة عن هويتها الإسلامية عموماً وتكون أيضاً علاجاً لانحرافات الشخصية المسلمة خصوصاً. نقلها باختصار وتصرف.

قال رحمه الله: "الهوى ميل الطبع ما يلائمه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح فلا ينبغي ذم الهوى مطلقاً ولا مدحه مطلقاً كما أن

^١ - مقومات النور الإسلامي فصل: حقيقة الإنسان لسيد قطب.

^٢ - منهج التربية الإسلامية (٩٢/٢).

^٣ - نفس المصدر (٣٢٨/٢).

الغضب لا يذم مطلقاً ولا يحمَد مطلقاً وإنما يذم المفرط من النوعين وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار .

فإن قيل: كيف يتخلص من هذا من قد وقع فيه؟ قيل: يمكنه التخلص بعون الله وتوفيقه له بأمر: **أحدهما**: عزيمة حر يغار لنفسه وعليها.

الثاني: جرعة صبر يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة.

الثالث: قوة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة كلها صبرساعة، وخير عيش أدركه العبد بصبره.

الرابع: ملاحظة حسن موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة.

الخامس: إيقاؤه على منزلته عند الله تعالى وفي قلوب عباده وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى.

السادس: إثارة لذة العفة وعزتها وحلاوتها على لذة المعصية.

السابع: فرحة بغلبة عدوه وقهره له ورده خاسئاً حيث لم ينل منه أمنيته.

الثامن: التفكير في أنه لم يخلق للهوى وإنما هيء لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصيته الهوى كما قيل:

قد هياؤك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

التاسع: أن لا يختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالاً منه فإن الحيوان يميز بطبعه بين مواقع ما يضره وما ينفعه فيؤثر النافع على الضار والإنسان أعطي العقل لهذا المعنى فإذا لم يميز به ما يضره وما ينفعه أو عرف ذلك وآثر ما يضره كان حال الحيوان البهيم أحسن منه.

العاشر: أن يسير بقلبه في عواقب الهوى فيتأمل كم أفانت معيشة من فضيلة وكم أوقعت في رذيلة وكم من شهوة كسرت جاهاً ونكست رأساً وقبحت ذكراً وأورثت ذماً وأعقت ذلاً وألزمت عاراً لا يغسله الماء غير أن عين صاحب الهوى عمياء.

الحادي عشر: أن يتصور العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصور حاله بعد قضاء الوطر فأفضل الناس من لم يرتكب سبباً حتى يميز لما تجني عواقبه.

فإنه لا يجد بينهما نسبة البتة فليعلم أنه من أسفة الناس ببيعه هذا بهذا.

الثاني عشر: أن يعلم أن الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده فإن وقع في العلم أخرج به إلى الظلم وصدده صاحبه من جملة أهل الأهواء وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الظلم وصدده عن الحق وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيث يولي بهواه ويعزل بهواه، وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة فما قارن شيئاً إلا أفسده.

الثالث عشر: أن الهوى هو حظار جهنم المحيط بها حولها فمن وقع فيه وقع فيها كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات".

الرابع عشر: أن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس دونه قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى: "يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هوأك".

وسمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً ثم يخرج إليهم.

الخامس عشر: أن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق ويفتح عليه أبواب الخذلان. قال الفضيل بن عياض: من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق.

وقال بعض العلماء: الكفر في أربعة أشياء في الغضب والشهوة والرغبة والرغبة ثم قال: رأيت منهن اثنتين: رجلاً غضب فقتل أمه ورجلاً عشق فتنصر.

السادس عشر: أن اتباع الهوى يحل الهزائم ويوهنها ومخالفته تشدها وتقويها والعزائم هي مركب العبد الذي يسيره إلى الله والدار الآخرة فمتى تعطل المركوب أو شك أن ينقطع المسافر.

قيل ليحيى بن معاذ: من أصلح الناس عزماً؟ قال: الغالب هواه.

السابع عشر: أن التوحيد واتباع الهوى متضادان فإن الهوى صنم وكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه. وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له وليس مراد الله تعالى كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب بل المراد كسرها من القلب أولاً.

الثامن عشر: أن مخالفة الهوى طردة للداء من القلب والبدن ومتابعته لبة الداء القلب والبدن فأمرض القلب كلها من متابعة الهوى ولو فتشت على أمراض البدن لرأيت غالبها من إيثار الهوى على ما ينبغي تركه.

التاسع عشر: قال أبو بكر الوراق: إذا غلب الهوى أظلم القلب وإذا أظلم القلب ضاق الصدر وإذا ضاق الصدر وساء الخلق وإذا ساء الخلق أبغض الخلق وأبغضهم، فانظر ماذا يتولد من التباغض من الشر والعداوة وترك الحقوق وغيرها.

العشرون: أن لكل عبد بداية ونهاية، كما قال القائل:

مآرب كانت في الشباب لأهلها عذياً فصارت في المشيب عذاباً

فلو تأملت حال كل ذي حال سيئة زرية لرأيت بدايته الذهاب مع هواه وإيثاره على عقله ومن كانت بدايته بمخالفته هواه وطاعة داعي رشده كانت نهايته العز والشرف والجاه عند الله وعند الناس.

الثاني والعشرون: أن الهوى رق في القلب وغل في العنق، رب مستور، سبته شهوة فتعري ستره فانهتكها، صاحب الشهوة عبد فإذا غلب الشهوة أضحى ملكاً. (1) أ.هـ بتصرف واختصار.

المبحث الثاني من الفصل الثالث: التربية الإيمانية الربانية:

ونعني بالتربية الإيمانية: هي تنقية القلب والارتقاء به حتى يكون سليماً لقوله تعالى: "إلا من أتى الله بقلب سليم" (2) وأن توصل هذه التربية الشخصية المسلمة إلى درجة الإحسان التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (3).

¹ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم 691-701هـ حققه د. السيد الجميلي (1/467) الباب التاسع والعشرون في ذم الهوى وما في مخالفته من نيل المني.

² - الشعراء 89.

³ - رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان.

والتربية الإيمانية الربانية هي وسيلة مهمة في إصلاح شخصية الفرد المسلم وبالتالي إيجاد القاعدة الصلبة المتينة نواة الخلافة الإسلامية التي تحمل على عاتقها مهمة مواجهة الجاهلية بكل قواها ومهمة تشييد صرح الدولة الإسلامية ومهمة حماية هذا البناء من كل سوس يريد أن ينخر به ويهد كيانه.

والتربية منهج اتبعه أنبياء الله جميعاً في دعوتهم وفي مقدمتهم خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم فقد ظل في مكة ثلاثة عشر عاماً يربي أصحابه على المنهج الرباني ثم كان كذلك عشر سنوات في المدينة، فلم تنقطع التربية حتى بعد إقامة الخلافة الإسلامية إذ أنها بحد ذاتها هدف دائم بالنسبة للشخصية المسلمة وللأمة المسلمة^(١).

إن التربية الربانية هي الأساس الذي يوقظ للإنسان قلبه ويمنحه السمع للحق والاعتاظ به وتكون بالتالي الوازع الذي يمنع المرء من المعصية ويدفعه إلى تطبيق المقومات السلوكية للشخصية الإسلامية والقيام بأعباء حمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة وهو يشعر بالمسؤولية العظمى أمام الخالق نحوها^(٢).

"إن التراب المتفكك لا يصلح أساساً لبناء ولا بد من إعداد قواعد صلبة متينة قد زادت الضربات والشدائد صلابة ومتانة حتى تغدو أساساً متيناً يمكن أن يقوم على كواهله بنيان المجتمع الإسلامي.

ولذلك فقد كان من مقومات التأهيل والإعداد للمسلمين في مكة أن يصطلوا بنار الابتلاء والمحنة، وينالوا قسطاً وافراً من العنت والشدة، ولقد تفهم هذا الجيل العظيم معنى الابتلاء وتلقوا ألوانه بالرضى والصبر والوعي، ورأوا في الشدائد تربية واختباراً، فاغتنبوا للتربية وخاضوا غمار الاختبار بجرأة وقوة"^(٣) أ.هـ.

المبحث الثالث من الفصل الثالث: طبيعة التغيير الإسلامي:

"إنه لا قيمة ولا وزن في نظر الإسلام للانتصار العسكري أو السياسي أو الاقتصادي ما لم يقم هذا كله على أساس المنهج الرباني في الانتصار على النفس والغلبة على الهوى والفوز على الشهوة ليكون كل نصر نصراً لله ولمنهج الله"^(٤) أ.هـ.

والتربية الربانية هي الوسيلة الرئيسية في عملية التغيير الإسلامي وبدونها فلن ينجح التغيير ولن يصل حتى إلى أقرب أهدافه وذلك لأن سنة الله في التغيير هي أن تبدأ من النفس: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"^(٥) "ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"^(٦).

وبالتالي فإن أي وسائل تتبع لأجل التغيير الإسلامي وإن كانت شرعية من حيث هي لا تتضمن معها التربية فإن النتيجة هي الفشل الذريع، كمن مثلاً يعلن الجهاد ويقومه قبل اكتمال البناء الإسلامي التربوي والتكويني للقاعدة المسلمة شرط قيام المجتمع المسلم وسنده الوحيد بعد الله عز وجل" أ.هـ.

فالتغيير المطلوب يبدأ من النفس سواء بالارتفاع إلى أعلى أو بالانتكاس والهبوط إلى أسفل.

^١ - منهج التربية الإسلامية محمد قطب (٧٢/٢).

^٢ - بناء المجتمع الإسلامي: الإسلام في عصر النبوة ص ٧٧ بتصرف.

^٣ - انظر بناء المجتمع الإسلامي في عصر النبوة ص ٨١ محمد توفيق رمضان.

^٤ - نقلاً من كتاب غزوة أحد: أحمد السيد عطاء، إعداد جمال الماضي.

^٥ - الرعد جزء من آية ١١.

^٦ - الأنفال ٥٣.

ويلاحظ أن في الآية ترتيباً: إذ أن حدوث التغيير من الله فترتب على حدوثه من البشر سواء من السلب أو الإيجاب، وهذا الترتيب يضع البشر أمام مسؤولياتهم في أحداث التاريخ^(١) أ.هـ. ولا شك أن التغيير الإسلامي يحدث للفرد والجماعة والقوم، فلا يحدث هذا التغيير حتى يتغير حال الفرد والجماعة والقوم في الجملة، أما إن تغيرت أنفس أفراد معدودين فإن ذلك ليس كافياً في التغيير الجماعي. إن التغيير المنشود: يحتاج إلى عقيدة راسخة ومخصوصة وعقلية مخصوصة وخلق مخصوص وسيرة مخصوصة.

إن التغيير في الأنفس والقلوب والأخلاق والمعاملات والتشريعات، لا يظهر بطريقة خارقة للعادة بل لا بد لإيجاده وتحققه من أن يظهر في الآتي:

- ١ - حركة شاملة مبنية على أصول الإسلام وعقيدته المتمثلة في منهج أهل السنة والجماعة وسلوكهم.
- ٢ - يقوم على هذا الأساس نظام للتعليم والثقافة.
- ٣ - ثم تأخذ الحركة تنمو صعوداً مع ما لها من السيادة الفكرية والفعلية مكافحة ومقاومة النظام الباطل المعوج السائد في المجتمع الإسلامي.

فهناك تتجذب إلى هذه الدعوة وهذا التغيير المنشود أفئدة الذين يوجد فيهم شيء من الخير والصلاح. وأما أصحاب الطباع الفاسدة والمنحرفة فسوف تخفي أصواتهم ويضمحل نفوذهم شيئاً فشيئاً بإزاء تيار الحركة الجارف سيرها الحثيث.

وهكذا يحدث انقلاب عظيم في أفكار العامة، وتتعطش الحياة الاجتماعية إلى هذا النظام المخصوص من الحكم، وهناك لا يستطيع أن يحيا في هذا المجتمع نظام آخر غير النظام الذي أعدت له المعدات وتهيأت له العوامل^(٢).

ثم تحصل المواجهة والقتال بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ويتبين سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين. فسبيل الإصلاح ينطلق في رأينا من هذه الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة فإذا وجدت جماعة ثم نمت وترعرعت وكثر أفرادها وعن سلطانها كان لها الأثر الطيب في جميع المجالات.

وهؤلاء قد جمعوا إلى حصافة الرأي وبعد النظر معرفة بأحوال الناس وما يجري في المجتمعات إلى جانب إيمانهم العميق وصلتهم المتينة بخالقهم.

هؤلاء هم المعلق عليهم الأمل في التغيير والإنقاذ والجهاد الذي توفرت شروطه ومتطلباته التي هي أسباب النصر والتي تعتبر سنن الله عز وجل في النصر، وسنن الله لا تحابي أحداً بل هي سائرة كما قدر الله، وخير مثال على ذلك في عدم الأخذ بسنن الله في النصر أو بمعنى أصح التفريط في بعضها غزوة أحد وحنين كيف لحقت المسلمين مع أن فيهم أكرم الخلق وأعزهم على الله الهزيمة وذلك لأجل التفريط..

خاتمة البحث: النتائج والتوصيات:

ومن خلال ما سبق دراسته نخلص إلى النتائج والتوصيات الآتية:

^١ - منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٦٤ بتصرف واختصار.

^٢ - انظر كتاب "منهاج الانقلاب الإسلامي" لأبي الأعلى المودودي ص ١٢٠ بتصرف.

أولاً: النتائج:

١ - وجوب تحديد الشخصية المسلمة الحق من خلال:

- (١) منهج القرآن الكريم والسنة الصحيحة.
- (٢) القدوة الأولى عليه الصلاة والسلام.
- (٣) واقع الصحابة الممثلين للشخصية المسلمة.

٢ - المقارنة بين الشخصية المسلمة الأولى والشخصية بعد القرون المفضلة حيث يتضح الفروق الآتية على سبيل المثال:

(١) الشخصية الأولى تتصف: وضوح المنهج، الجدية، تحقيق المواصفات والمقومات، التكامل، الشمول، الاعتدال.

الشخصية المتأخرة: الغش، والقصور في المنهج والعقيدة، عدم تحقيق المواصفات الفوضى في التكامل والشمول والاعتدال. وهذا هو الفرق الأول.

(٢) الفرق الثاني: الشخصية الأولى تتصف بقلة كلام وكثرة عمل قلبي وجوارحي.

الشخصية المتأخرة: كثرة منظورات ومحفوظات وقلة عمل قلبي وجوارحي.

(٣) الفرق الثالث: تتصف الشخصية الأولى: كثرة واقعية وتجربة وثقة وإبداعات.

الشخصية المتأخرة: قلة واقعية وغش قصور في التجارب، وعدم ثقة ولا إبداعات بل تخبطات وانحرافات.

٣ - واقع المسلمة اليوم من خلال المجتمعات والدول بلغ مبلغاً كبيراً من حيث الضعف والانحيار

والمخالفات؛ لأن هذه الشخصيات جمعت بين المتناقضات إلا ما رحم الله وقليل ما هم جمعت بين

الشرك والإسلام، والكفر والإيمان، والسنة والبدعة، والأخلاق الحسنة والأخلاق الذميمة، والنفاق

والكذب والخيانة وحب الدنيا على الآخرة والهوى....

أما على صعيد الجماعات الإسلامية والصحوات والأعمال الخيرية والجامعات والمؤسسات الشرعية:

فإنها تبذل جهوداً كبيرة في إصلاح شخصيتها ورجالها ومناهجها ومع ذلك كله فإنها لا تمثل الشخصية

المسلمة المنشودة في جميع مجالاتها وذلك للأمور الآتية:

١ - ضعف الجانب الإيماني.

٢ - ضعف الجانب الأخلاقي.

٣ - ضعف المجدد أو المجددين القدوة.

٤ - كثرة الأهواء المضلة والشهوات المحرمة.

٥ - السيطرة المحكمة لأعداء الإسلام على الأمة المسلمة ويتضح من خلال الآتي:

(١) سيطرة عقائدية.

(٢) الغزو الفكري.

٣) الغزو العسكري.

٦- ضعف القيام بمنهج أهل السنة والجماعة عقيدة وسلوكاً وشريعة.

ثانياً: التوصيات:

ومن ثم لا بد من هذه التوصيات:

- ١ - الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح عقيدة وشريعة وسلوكاً.
- ٢ - قراءة السيرة والتاريخ قراءة مستفيضة متأملة من خلال القصص والمواقف والأحداث والعبر في صقل الشخصية المسلمة.
- ٣ - استنباط سبيل المجرمين.
- ٤ - عدم الاغترار بالكثرة واللوائح والشعارات.
- ٥ - اعرف الحق تعرف أهله ورجاله.
- ٦ - مسايرة ومعايشة وملازمة أهل القدوات كل حسب تخصصه وميدانه.
- ٧ - الصبر والمجاهدة في كل ميادين الشخصية المسلمة.
- ٨ - الحذر من الفتن والانحرافات التي تعترض الطريق.
- ٩ - الرغبة في حمل المسؤولية والرغبة في العمل واكتساب الخبرة العملية.
- ١٠ - النظرة الواقعية إلى الأمور.
- ١١ - اليقين بأن المستقبل لهذا الدين العظيم وللشخصية الملتزمة به بالصورة الحقة المنشودة.

والله الموفق لكل خير

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين